ولو فرضنا ان احدهما اراد تحريكه والاخر اراد تسكينه فاما ان يقع المرادان
وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهما مراد
الاخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس
او يقع مراد احدهما دون الاخر وذلك ايضا محال لان الذي يقع
مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص
وهو على الاله محال فثبت ان الفساد لازم على كلا التقديرات
واذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم
العلوي والسفلي من المخلوقات دليل على وحدانية الله تعالى
والدليل السمعية على الوحدانية كثيرة في القرآن ولما افاد هذا
الدليل انه لا يجوز ان لا يكون المدبر للسموات والارض الا واحدا لان
ذلك الواحد لا يكون الا الله تعالى قال فسبحان الله اي فتنسب
عن ذلك تنزيه المتصف بصفات الكمال رب اي خالق العرش اي الكرسي
المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدبير ومنشا التقادير
عما يصفون اي الكفار الله به من الشريك له وغيره ثم بين تعالى ذلك
بقوله تعالى لا يسئل اي من سائل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه
واذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسالهم من في مملكتهم
عن افعالهم وعن ما يوردونه ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا
مع جواز الخطا والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك
ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى ان لا يسال
عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول ان ما يفعله كله مفعول
بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطا وهم يسئلون اي لانهم مملوكون
مستعبدون خطاؤون فما خلقهم باذنهم ان لهم فعلتم من كل شي
تعلوه كرر قوله ام اتخذوا من دونه الهة كرر استفظاعا لشانهم

واستفظاعا

١٤٥

واستفظاعا لكفرهم واظهارا لجهلهم ولما كان جوابهم اتخذنا ولا نرجع امر
الله تعالى نبيه صلى الله عليه بجوابهم فقال قل هاتوا برهانكم على
ما ادعيتموه من عقل او نقل كما اثبت انا برهان النقل المؤيد بالعقل
ولما كان تعالى لا يواخذ بمخالفة العقل ما لم ينضم اليه دليل النقل اتبعه
قوله مشيرا الى ما اثبت الله تعالى به الرسل من الكتب هذا ذكر اي
موعظة وشرف من معي ممن آمن بي وهو القرآن الذي عجزتم عن معارضته
وذكر وهذا ذكر من قبلي من الامم الماضية وهو التوراة والانجيل
وغيرهما من الكتب السماوية فانظروا هل تجدوا فيها الا الامر بالتوحيد
والنهي عن الاشراك ولما كانوا لا يجدون شبهة لهم فضلا عن حجة
ذمهم الله تعالى على جهلهم بمواضع الحق فقال تعالى بل اكثرهم اي هؤلاء المدعوين
لا يعلمون الحق فلا يميزون بينه وبين الباطل بل اكثرهم جهلة والجهل
اصل الشر والفساد فهم اي فتسبب عن جهلهم ما افتتحنا به السورة من
انهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسل ولما كان الارسال بالفعل
غير مستغرق للزمان المتقدم كما ان الرسالة لا يقوم بها كل احد فكذلك
الارسال لا يصلح لكل زمن اثبت الجار في قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
واغرق في النفي فقال من رسول في شيء الاولى الا يوحى اليه من عندنا
انه لا اله الا انا فاعبدون وهذا اختصر لما سبقه من اي التوحيد وقال
تعالى الا انا ولم يقل نحن لئلا يجعلوا ذلك وسيلة الى ما ادعوه من
تعدد الالهة ولذلك قال فاعبدون بالافراد وقرا حفص وحمزة
والكسائي بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء ولما بين سبحانه
وتعالى بالدلائل الباهرة كونه منزها عن الشريك والضد والند
رد على من ذكر ذلك براته عن اتخاذ الولد بقوله وقالوا اتخذ اي تكلف كما
يكون من يكون ذلك ولد الرحمن اي الذي كل موجود من فيض نعمته ولدا

Copyright © King Saud University